د. مظهر محمد صالح*: ظواهر العصر الامبريالي الموازي: عولمة الارهاب

١- تمهيد:

عدت ومازالت حركات الارهاب المغلف بأيديولوجيات دينية منغلقة ، نمطاً مستحدثاً من انماط العصر الاستعماري الجديد للرأسمالية المركزية ، بل هي جزء من تكتيكات العولمة الامبريالية التي ترمي الى توليد : ارهاب موازي منظم في المناطق الهشة والرمادية لدوائر الصراع في العالم للحفاظ على تمدد نفوذها حول الارض .

فالمجاميع الارهابية وإعدادها كأذرع لحروب العولمة الموازية ماهي الا حركات ارهابية تجميعية من شتات قوى ضالة منفلتة يجري تجنيدها كقوات مرتزقة عند الضرورة وعدها - جيشاً موازياً - يتحرك بقدرات لوجستية ذات طبيعة تعبوية (جزئية) Partial logistics تشابه حروب العصابات ولكن بتوجهات مركزية (كلية) عالية الكثافة تستخدم في تصعيد التهديد بالحرب مع خصوم الامبريالية وتهيئتها لتنقلب في لحظة زمنية معينة ، من مستويات الارهاب الإيديولوجي الناعم Soft ideological terrorism الى المستويات الخشنة من الحروب ،لتطلق كموجات من الارهاب المعولم الموازي عند اشتداد الحاجة .

وتستهدف التحركات الموازية للإمبريالية Parallel imperialism من خلال تلك التعبئة ، خلق بؤر مضطربة متقدمة (عند خطوط متعرجة) لمجموعة البلدان المسماة إمبريالياً (بالقلقة او غير المستقرة) لتتشكل مناطق عازلة مضطربة تتصدى حالياً لمظاهر القوة القادمة من اوراسيا (قلب الارض) او من عموم الشرق . وكذلك التحوط الأكبر صوب ما يسمى بنفوذ (المملكة الوسطى) والتي يقصد بها (الصين) وعدها اليوم امبريالية حمراء red

imperialism مضادة زاحفة بشكل متسارع قادمة من اقاصي شرق العالم لتنازع النفوذ الامبريالي التقليدي الغربي كقوة اقتصادية عبر استراتيجيات الصين في اطلاق مبادرة الحزام والطريق البحري Belt and Road Initiative .

وهي المبادرة التي أطلقها الزعيم الصيني شي جيان بينغ في العام 2013 لبلوغ العالم بحرا وبراً عبر مشاريع التنمية والبنى التحتية المشتركة ، في اقتصاد مركزي شرقي جديد يمتلك القدرة والمرونة في التمدد بأسواقه التنافسية وامكاناته التكنولوجية العالية نحو المعاقل التقليدية للإمبريالية ومستعمراتها السابقة و بحرب ناعمة يطلق عليها الغرب(الحروب الناعمة الحمراء red soft war).

٢- يرى برجينسكي مستشار الامن القومي الاسبق للولايات المتحدة في كتابه :رقعة الشطرنج الكبرى - The Grand Chessboard: American Primacy and Its Geostrategic Imperatives الصادر في العام 1997 ، ان مساحة اوروسيا كمركز للقوة العالمية ، تعد الأهم عالميا من حيث الحساسية الجغرافية وتعداد السكان والثروات الاستراتيجية الأولى في العالم التي تختزنها, وحجم ودور الأقطاب الإقليمية والدولية المتمركزة فيها. ودورها الراهن والمستقبلي في رسم ملامح المشهد العالمي

وبهذا طرح بريجنسكي صياغة استراتيجية جيو آسيوية للولايات المتحدة ، مذكراً على وجه الخصوص ، ضرورة ألا يظهر أي منافس أوروبي أو آسيوي يمكنه الهيمنة على (أوراسيا) ومن ثم تحدي التمدد العالمي للولايات المتحدة.

اذ يرى ان اوروبا واسيا هما كيان جغرافي متصل واحد ، ذلك منذ بدأ القارات بالتفاعل قبل 500 عام.

ولم يغفل بريجنسكي ان يمنح اهتمامه بجزء كبير من تحليله بالاستراتيجية الجيولوجية في آسيا الوسطى ، مع التوسع على تطبيق القوة على المساحة البرية الأوروبية الآسيوية فيما بعد الاتحاد السوفياتي وفي فصله المخصص لما يشير إليه باسم «منطقة البلقان الأوروبية

الآسيوية» ، وهنا اشار الى نظرية (قلب الارض)او (القلب اليابس للعالم) للكاتب هالفورد ماكندر Halford Mackinder) اذ يعد هالفورد ماكندر (1861-1947) الجغرافي البريطاني ، واحد من اهم المتخصصين في الجغرافيا السياسية (الجيوبوليتيك) . اذ قام ماكندر في العام 1904 بتأليف كتابه الشهير 'المحيط الجغرافي للتاريخ'، وهو أحد أشهر كتب الجيوبوليتيك في العالم، وهو واضع نظرية القلب اليابس ، ومؤكداً ان البحار تغطي حوالي ثلاثة أرباع الكرة الارضية في حين أن اليابسة لا تزيد على ربعها، وفي هذا الجزء من اليابسة تقع منطقة عمرانية يشغلها حوالي سدسها من السكان وهي آسيا واوروبا وأفريقيا وتتميز هذه المناطق الثلاث من اليابسة بخصائص رئيسة وهي :

* أنها تمثل أكبر منطقة مستوية في العالم ممتدة من سهل اسيا الى باريس .

* يتخلل هذه اليابسة مجموعة من الانهار الطويلة.

* تعمر اليابسة أراضي زراعية وهي تيسر أنتقال الشعوب فيها.

أما القارة الامريكية فموقعها بالنسبة إلى هذه المنطقة أشبه بموقع بريطانيا بالنسبة لأوروبا .

حيث يوازن (ما كندر) ما بين اليابسة والمياه فيقول: (إن اليابسة قابلة للتمليك أما البحار فلا تدخل في ملكية أحد، والدول الواقعة على البحار تغلب عليها الروح التجارية ، ببنما الدول القائمة على اليابسة تغلب عليها روح تملك العقار واستغلاله .

ويؤكد أنه لو نشبت حرب بين دولة بحرية وأخرى ليست بحرية فإن الأنتصار يكون من نصيب الدولة البحرية ولاسيما إذا ما أستطاعت أن تسيطر على الموانيء ومداخل البلاد.

ومن الأفكار التي نادى بها أصحاب هذه النظرية أن الذي يسيطر على اوروبا الشرقية تسهل عليه السيطرة على المنطقة الرئيسة ومن يسيطر على المنطقة الرئيسة يمكنه أن يحكم العالم أو الجزيرة العالمية، وقد تأثرت الحركة النازية في المانيا بهذه النظرية وكان يراد من وصول الجيش الألماني إلى قلب هذه المنطقة (اوراسيا) السيطرة على بقية جهات العالم.

و الحرب الدائرة في اوكرانيا اليوم ماهي الا واحدة من حروب الصد المحاذية لمنطقة (قلب الارض) لتعد اوكرانيا ضمن المجموعة القلقة في التقسيم الامبريالي الراهن للأمم .

٣-ولما كان برجنسكي قد قسم العالم الى ثلاث مجموعات من حيث الهيمنة والتأثير الى : مجموعة الدول العظمى ، مجموعة الدول الاقليمية ومن ثم مجموعة الدول القلقة او غير المستقرة Unstable countries سواء في اسيا بشكل عام او اوراسيا (مناطق الخليط الاسيوي الاوروبي) بشكل خاص .

ومن هنا جاء دور داعش الارهابي واعادة تدوير نموذجه في الإرهاب بين الحين والاخر ليكون موديلاً مكرراً وموسعاً للنموذج الافغاني الاول نفسه . ذلك الانموذج الذي عد بداية (تدشين الارهاب المعولم) وتهيئته كجيش إمبريالي موازي بعقيدة دينية مضادة للنفوذ السوفياتي ،يوم احتل السوفيت افغانستان في آواخر العام 1979 لبناء تمددهم الاسيوي الجديد ولبلوغ المياه الدافئة صوب الخليج كما كان يقال .

وقد تزامن تاريخياً احتلال افغانستان مع ما بلغته (الليبرالية الجديدة) من صعود وهي في اشد حالات تفردها وبلورة نموذجها العالمي الجديد في حروب التوحش الموازية وتحديدا ازاء الشرق وعموم اوراسيا (وعد الأخيرة كقوة بشرية تاريخية مازالت الاكبر في العالم) والبدء في خلق المناطق الخطرة الرخوة والعازلة Buffer zones كمناطق صد ضد التمدد الشرقي وتعريفها امبرياليا على انها بلدان قلقة او غير مستقرة.

وهكذا جرى اشاعة ((الارهاب الدولي)) بقوالب معولمة شديدة الابهام متعددة الاجناس يغلب عليها الطابع الاسيوي او الاوروسي ولكن بأيديولوجيا منغلقة واحدة موجهة ببعد واحد ، اساسها الفكري المصطنع واحدة من اكبر الديانات السماوية انتشارا في آسيا وهي الديانة الاسلامية .

٤- وتأسيساً على ماتقدم ، فقد ولدت في الوقت نفسه تزامناً مع عولمة الارهاب ظاهرة الارهاب الاقتصادي المعولم (العولمة الاقتصادية الموازية) وهي تحركات بشرية تعمل في

المناطق القلقة بالغالب ، مختزلة السير سراعاً نحو اختراق سيادة الامم ببناء اسواق موازية خطرة عابرة للسيادة والحدود (من مهربي النفط والخامات المعدنية وتجارة السلاح وتجارة والرقيق والمخدرات وغسل الاموال وتجارة الاعضاء البشرية وطمر المواد الملوثة والمشعة) والتي تقدر عملياتها السنوية بنحو صار يزيد على 5 بالمئة من الناتج الاجمالي العالمي.

اذ احدثت تلك العولمة الموازية كيانات شبه سياسية مارقة مرافقة ، تستخدم ايديولوجية عابرة للامم كالأيديولوجية الدينية وتعتاش على النشاط الاقتصادي الموازي المعولم .

فالكيان (الداعشي) الارهابي الذي إدعى حينها هيمنته على 37 ولاية مزيفة في شتى بقاع العالم في السنوات الماضية قبل اقتلاعه هو انموذج لولادة ظاهرة ممنهجة أُسقطت من رحم العولمة الرأسمالية المركزية كقوة شاذة منفلتة رافقتها عولمة اسواق موازية .

بعبارة أُخرى فقد جسدت داعش ظاهرة لتطور مشوه في النظام العالمي اتخذ من الدين ذريعة ايديولوجية للامتداد واختراق الحدود الرسمية للدول وعاش في كنف العولمة الاقتصادية الموازية.

ذلك لكون الدين ظاهرة عالمية تُسهل امتداده ليشكل نواة موازية لظاهرة العولمة المركزية في حروب الغرب مع الشرق والتي يمكن تسميتها اصطلاحاً بالعولمة الموازية اللامركزية.

وعلى صعيد الحروب المركزية القائمة في اوكرانيا وغزة ربما سيتطور حلف شمال الاطلسي في العودة الى تجميع قوى عسكرية مختلفة الثقافات بفاعلية اوسع لإداء دورين : الاول، توليد مظلة عسكرية حمائية معولمة مركزية للقوى الاقتصادية الغربية القديمة كالاتحاد الاوروبي والحاق الجيش الاوروبي واذابته بسياساته وقراراته اللوجستية والعملياتية.

والثاني، تفادي ولادة قوى حربية مستقلة جديدة ناجمة عن القطبية المتعددة للرأسمالية المركزية تسمح باستخدام القوة للهيمنة على مناطق النفوذ الجيوسياسي في العالم او الصراع على الاسواق مجددا ومن ثم اعادة انتاج نمط مماثل للحربين العالميتين (الاولى والثانية) والتي

حدثت بسبب صراعات الرأسمالية المركزية الميتروبولية الاوروبية واليابانية على اسواق العالم ونهب ثروات مستعمراته.

وهكذا ولدَت العولمة الموازية الراهنة حروباً عمودية النمط من خلال تكوين تشكيلات ارهابية مسلحة غير نظامية متمثلة بداعش كما ذكرنا والتي امتدت ساحتها قبل ازالتها بين سوريا والعراق وشمال افريقيا والخليج وصولاً الى المركز الرأسمالي نفسه .

٥- ختاما، برهنت القوات المسلحة العراقية بتشكيلاتها كافة بانها قادت بصلابة، واحدة من اقوى الحروب المضادة للعولمة الموازية (و بنمط نظامي افقي) تحررت بموجبه بلدات العراق ومدنه واعادت الاستقرار والامن الى النظام العالمي في مواجهة الارهاب الداعشي ذو (النمط العشوائي العمودي) الذي عد ومازال احد اسقاطات الراسمالية المركزية وانفلاتها الى ظواهر موازية و بايديولوجيات شاذة ، عديمة المبادئ والهوية ، عابرة لسيادة الامم.

(*) باحث اقتصادي اكاديمي ومستشار مالي واقتصادي لمنصب رئاسة الوزراء العراقية

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة الى المصدر. 8 نيسان 2024

http://iraqieconomists.net/ar/